

التأثير الفلسفي في نحو سيبويه

The Philosophical Impact On Sebaweih's Grammar

تاريخ الإرسال: 2018-04-23

تاريخ القبول: 2018-05-10

الدكتور: إسماعيل زغودة
الدكتور عبد القادر بعداني
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف الجزائر

الملخص:

ظهر أول كتاب في النحو العربي على يدي سيبويه في القرن الثاني للهجرة، وكان هذا الكتاب بمثابة الدستور المقنن للغة العربية، ومما لاحظته العلماء على هذا الكتاب أنه ولد مكتملا بأجزائه وتفصيله، ما جعل العلماء يبحثون في التأثيرات الخارجية لهذا العلم الذي قعده ومنهجه سيبويه وانقسم العلماء على أنفسهم إلى قسمين:

أ - قسم يعارض التأثير الخارجي للنحو العربي ويرجعون أصوله إلى الثقافة العربية، حيث نشأ على يدي أبي الأسود الدؤلي ثم نما وتطور على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي، وخاصة أن سيبويه كان تلميذه النجيب، ويأتون في ذلك بحجج وبراهين، يرون أنها كافية لتغليب رأيهم على الآراء الأخرى، وسنجدها مبسطة في هذا المقال.

ب - قسم يؤيد التأثير الخارجي للنحو العربي، ويرجعون أصوله إلى الفلسفة اليونانية أو الهندية، ويزعمون أنه لا يمكن لمثل هذا الكتاب أن يأتي هكذا من فراغ، فلا بد أنه اعتمد على كتب سبقت له أنارت له طريق التأليف في هذا العلم، وهذه الثقافة هي اليونانية أو الهندية، وخاصة أن سيبويه كان أجنبيا ولم يكن عربيا، وجاءوا بحجج سنجدها مفصلة في هذه المقالة.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، المنطق، النحو.

Abstract :

The book was first published in Arabic grammar by "Sebaweyh" in the second century of migration « Ehijra ». This book was the codified constitution of the Arabic language. The scholars noted that this book was born in its parts, and details. This led scientists to explore the external influences of this science, On themselves into two parts:

A- Section that opposes the external influence on the Arabic grammar, and refer its origins to the Arab culture. It was founded by Abi Al-Aswad Al-Doali, then developed, by El-Khalil Bin Ahmed Al-Farahidi, especially, that "Sebaweyh" was his best student, and therefore, the scholars of this section come up with arguments, and proofs winning their opinions, and we will find that in this article.

B - Section supports the external influence on the Arabic grammar, and refer its origins to the Greek or Indian philosophy, and claim that such a book can not come from such a vacuum, it must be based on books preceded by the path of authorship in this science, and this culture is Greek or Indian , Especially that "Sebaweyh" was foreign, and was not Arab, and came up with arguments We will find detailed in this article.

Keywords: Philosophy, Logic, Grammar.

كانت ثقافة العرب في جاهليتهم ثقافة شفوية، ولم يكن لهم قبل الإسلام كتاب واحد في أي مجال من مجالات العلوم أو الفنون أو الآداب، وكانت الكتابة قليلة محصورة في بعض الأشخاص. وبعد مجيء الإسلام وانتشاره في الأمصار، واحتكاك العرب بالأجناس والأمم الأخرى، عرفوا صناعة التأليف في مختلف العلوم والآداب.

انتشرت العربية في بلدان الشرق الأوسط وخرجت من محيطها الجغرافي والاجتماعي، وسادت في هذه المناطق وأقامت حضارة متمدنة .

نمت هذه الحضارة في ظل حضارات الدول القديمة التي فتحتها المسلمون، وتلاقحت الثقافة العربية بهذه الثقافات الأجنبية، وتطور التأليف في الشرع الإسلامي والفقه وعلم الكلام، وفقا لاطلاع علماء الإسلام على الملل والنحل القديمة، النصرانية واليهودية والمجوسية.

وجرت مناظرات بين النحاة العرب وعلماء المنطق الفلسفي، أثرت على المقلدين للتراث اليوناني وعلى مدارس العلوم الشرعية .

وتغلبت اللغة العربية على اللغة الإغريقية والقبطية والفارسية والسريانية، وسادت في الأقطار الخاضعة للدولة الإسلامية من عرب وغيرهم ممن اهتموا للإسلام، وأصبحوا مشاركين في بناء الدولة وإدارة مؤسساتها، مما جعل العرب والعجم على السواء يتنافسون في تعلمها والاطلاع على أصولها وقواعد نحوها وصرفها.

وقد قام الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه من بعده، بتقعيد قواعد اللغة العربية، ووضع لها سيبويه كتابا أصبح كالدستور لا تخرج عنه، والملاحظ أن هذا الكتاب ولد مكتملا من جانب الموضوع والمنهج، مما جعل بعض العلماء وخاصة المستشرقين يبحثون عن أثر الفلسفة والمنطق والنحو الإغريقي والسرياني في هذا الكتاب.

فلاحظوا تأثيرا واضحا تمثل في بعض المصطلحات، وكذلك تقسيم الألفاظ إلى أسماء وأفعال وحروف¹ وهذا ما جعل بعض العلماء يعترفون بوجود تأثير فلسفي أجنبي على النحو العربي بصفة عامة، ونحو سيبويه على الخصوص، وذلك لوجود تشابه بين النحو الهندي والمنطق اليوناني من جهة، والتقسيم العربي للكلمة إلى: اسم وفعل وحرف من جهة أخرى، حيث وجدوا اتفاقا وتشابها بين هذا التقسيم والتقسيم الهندي للكلمة المتمثل في الآتي:

- 1- تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف.
- 2- التمييز بين الحروف الأصلية والمزيدة.
- 3- وجود بعض الكلمات التي تجمع بين الخصائص الاسمية والخصائص الفعلية وهي ما يعرف باسم الفعل.
- 4- النظر إلى الحرف وهل له معنى مستقل أم أنه متعلق بغيره².

ويبدو أن التأثير الفلسفي اليوناني في النحو كان واضحا منذ نشأته وأغلب الباحثين يرون هذا الرأي، فقد تأثر النحو العربي في فترة متأخرة من فترات النحو العربي، سواء كان التأثير مباشرا أو غير مباشر أو كان التأثير عن طريق النحو اليوناني أو المنطق.

"وقد أعجب النحاة العرب بمنطق أرسطو وحاولوا تطبيقه على النحو العربي لذا نجد في بحوثهم اللغوية من الأقيسة والاستنباط ما لا يتصل بروح العربية³."

مؤيدو التأثير المنطقي والفلسفي على النحو العربي:

بتوسّع الدولة العربية بانتشار الإسلام في الأمصار التي فتحها المسلمون، حدث اتصال بين الثقافة اليونانية والثقافة العربية في زمن مبكر، وذكر المؤرخون أن أول من ترجم كتابا لأرسطو هو عبد الله بن المقفع⁴.

وقد خالط العرب السريان واحتكوا بهم، مما يعزز احتمال اطلاعهم على الثقافة اليونانية قبل الترجمة، وقد دخل الكثير من الأجانب اليونانيين الإسلام وأهم كانوا عربا بالولاء بتعلمهم العربية والدين الإسلامي الجديد، وهذا ما جعلهم يلجئون إلى اتخاذ طرق ووسائل منهجية لتعليم اللغة العربية بناء على ثقافتهم السابقة.

ويعتبر إبراهيم بيومي من مثبي التأثير اليوناني بنوعيه النحوي والفلسفي وقد كتب مقالا في مجلة الأزهر تحت عنوان: منطق أرسطو والنحو العربي يدافع فيه عن التأثير الفلسفي في النحو العربي من حيث المنهج والموضوع .

فمن جانب الموضوع نجد أرسطو يقسم الكلمة إلى:

1- اسم 2- فعل 3- أداة.

وسيبيويه يقسمها إلى 1- اسم 2- فعل 3- حرف.

وهناك تقارب كبير في تعريف سيبويه لهذه العناصر مع تعريف أرسطو.

أما التأثير المنهجي : فتمثل في القياس النحوي وذكر أركانه وشروطه، وفي مبدأ العلة الذي كان له شأن في النحو العربي، ولا ننسى تأثير المعتزلة على المناهج النحوية العربية وخاصة نظرية العامل، وكمثال على تأثير السريانية على العربية هو الأبجدية النبطية التي استعارها العرب لكتابتهم، وكذلك نشأة الحركات الإعرابية التي تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي إنما هي مأخوذة من السوريان، ومن المؤكد أن النحو نشأ ليحافظ على تقويم اللسان وليحارب ظاهرة اللحن والعمل على فهم النص القرآني في تأويله⁵.

ومن مؤيدي التأثير المنطقي والفلسفي على النحو العربي أحمد مختار عمر، الذي يرى أن كتاب سيبويه قد تأثر بالمنطق والتقسيمات العقلية، وكذلك إبراهيم مذكور في مقالته، منطق أرسطو والنحو العربي، التي نشرها عام 1948م في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الجزء الأول⁶,

ومن القائلين بالتأثير اليوناني على النحو العربي: أنياس جويدي I.Guidi وأدالبير مرقس A.Merx⁷ و De BOER مؤرخ الفلسفة الإسلامية الذي قال: "وقد أثر منطق أرسطو في علوم اللسان... السريان والفرس كانوا قبل العصر الإسلامي قد درسوا كتاب "العبارة" لأرسطو مع إضافات ترجع إلى الرواقيين وإلى أهل المذهب الأفلاطوني، وابن المقفع الذي كان صديقا حميما للخليل بن أحمد يسر للعرب الاطلاع على كل ما كان في اللغة الفهلوية من أبحاث لغوية ومنطقية"⁸.

" لكنهم نسبوا إلى سيبويه تأثره بالمنطق الأرسطي لا الفقهي الإسلامي، أو منطق العربية إذ تصرف بالألفاظ والمعاني تصرفا منطقيًا، وتقسيمه الكلام على اسم وفعل وحرف، والجملة على الحسن والقيح والجواز والوجوب والتناقض، وصنف الكلام على: مستقيم حسن ومحال مستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب"⁹

وقد أعجب النحاة العرب بمنطق أرسطو وطبقوه على قواعدهم النحوية من ذلك مثلا : تعريف الجملة الفعلية عند سيبويه بأنها الجملة التي تبتدئ بفعل، مثل: قام محمد، أما إذا قلنا محمد قام فإن الجملة عنده اسمية، رغم أنها تؤدي نفس الوظيفة اللغوية، ويجدون صعوبة في تخريج هذه الجملة لتكون جملة اسمية، من عودة الفاعل على ضمير مستتر يعود على محمد ثم تؤول الجملة الفعلية لتكون خبرا للمبتدأ محمد، وكان يكفيهم أن تكون جملة فعلية لولا أنهم نظروا إليها نظرة فلسفية باعتبار أنه لا يمكن أن نجد فاعلا قبل فعله، وهي نظرة فلسفية وليست لغوية.

معارضو التأثير الفلسفي على النحو العربي:

ترى هذه الجماعة أن النحو نشأ نشأة عربية محضة غير متأثر بلغة أخرى أو فلسفة أو منطق يوناني أو هندي. ويزعمون أنّ أبا الأسود الدؤلي هو أول من اهتدى إلى وضع النحو ويستشهدون بأراء علماء كبار في هذا المجال، من ذلك ما جاء في الفهرست لابن النديم محمد بن إسحاق " أن رجلا بمدينة الحديثة اسمه محمد بن الحسين كان جماعة للكتب، وقد آلت إليه خزانة صديق له كان مشتهرا بجمع الخطوط القديمة. قال ابن إسحاق فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبا، إلا أن الزمان قد أخلقها، وعمل فيها عملا أدرسها ... ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود. ما هذه حكايته؟ هي أربع أوراق وأحسبها من ورق الصين ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط إعلان النحوي، وتحت هذا خط النضر بن شمائل¹⁰ .

ويرون أن هذا رأي علماء العرب القدامى، من مؤلفي الطبقات والمعاجم، وسار على نهجهم من جاء بعدهم، ويتعجبون من المستشرقين، حين ينكرون هذه الحقيقة المتواطأ عليها من نسبة نشأة النحو إلى أبي الأسود الدؤلي. وقد اقتفى أثرهم بعض علماء العصر الحديث من ذلك أحمد أمين إذ يقول: " ويظهر لي أنّ نسبة النحو إلى أبي الأسود لها أساس صحيح، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أنّ أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط، وهو أنه ابتكر شكل المصحف... وواضح أنّ هذه خطوة أولية في سبيل النحو تتمشى مع قانون التشو، ويمكن أن تأتي من أبي الأسود، وواضح كذلك أنّ هذا يلفت إلى النحو، فعمل أبي الأسود يسلم إلى التفكير في الإعراب ووضع القواعد له¹¹ .

ومن العلماء القدامى الذين يرون هذا الرأي ابن الأنباري الذي يقول: " اعلم أيّدك الله تعالى بالتوفيق، وأرشدك إلى سواء الطريق، أنّ أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحدّد حدوده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي¹² .

"والحق أن النحاة العرب المتأخرون هم الذين تأثروا بالمنطق الأجنبي وخلطوا بينهما للشبه الكبير بينهما، أما النحاة المتقدمون فقد تأثروا بمنطق الفقه الإسلامي وطبقوه على علوم العربية وهو نابع من منطق العقيدة الإسلامية¹³ .

خاتمة:

على الرغم من الآراء المتضاربة بشأن مرجعية النحو العربي عامّة وأفكار سيبويه النحوية خاصة، إلا أن معالم اللغة العربية تثبت خصوصيتها النحوية والتي يمكنها أن تتقاسم بعض معاييرها مع لغات أخرى سبقتها أو عاصرتها نتيجة عوامل حضارية وتاريخية ومعرفية متعددة، وهو ما تعتقده نظريات لسانية حديثة كنظرية النحو العالمي عند تشومسكي.

- 1- كتب سيويوه، تح/ عبد السلام محمد هارون ج 1، مصر، 1385هـ، 1966 م، ص: 12.
- 2- الزمخشري، كتاب المفصل في النحو، تح/ ز، ب، بروخ بريستينا 1879، ص: 4.
- 3- مجلة الدراسات الأدبية والفكرية، حسن منديل حسن العكيلي، العدد الرابع، ديسمبر 2014، ص: 24.
- 4- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2007 ص: 43.
- 5- ينظر، مجلة تاريخ العلوم العربية 1977، مجلد 01، عدد: 2.
- 6- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2007 ص: 46.
- 7- نفس المرجع: ص: 44
- 8- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2007 ص: 44.
- 9- مجلة الدراسات الأدبية والفكرية، حسن منديل حسن العكيلي، العدد الرابع، ديسمبر 2014، ص: 25.
- 10- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، القاهرة، 2011، ط، 4، ص: 28.
- 11- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج 2، ص: 286
- 12- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، القاهرة، 2011، ط، 4، ص: 24.
- 13- مجلة الدراسات الأدبية والفكرية، حسن منديل حسن العكيلي، العدد الرابع، ديسمبر 2014، ص: 24.